

الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية

تأليف:

د. محمد خاتمى



فى التنوير الإسـلامى ٣١

الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية



تأليف :

د . محمد خاتمى





اسم الكتـــاب:	الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية
اسـم المؤلف:	د / محمد خاتمي
تاريخ النشـــر:	فبراير ١٩٩٩م . (طبعة أولى)
رقم الإيـــداع:	١٧٣٧ / ١٩٩٩م .
الترقيم الدولي:	I . S . B . N 977 - 14 - 0901 - 8
النـاشـــــر:	دار **نهضة مصر** للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي:	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة . مدينة السـادس من أكتوبر . ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ - (١٠ خطـــوط) فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦
مركز التوزيع:	١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهـرة ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥/٠٢ فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥/٠٢ - ص.ب: ٩٦ الفجالة .
إدارة النشـــر:	٢١ ش أحمد عرابي - المهندسـين - الجيزة ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤/٠٢ فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦/٠٢ - ص.ب: ٢٠ إمبابـة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

صاحب هذا الكتاب لم يعد فى حاجة إلى تعريف .. فهو الدكتور محمد خاتمى ، رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، والذى أحدث اختيار الشعب الإيرانى له - بأغلبية كبيرة - هزات وتساؤلات وتنبؤات وتطورات فى الحياة الداخلية بإيران ، وفى العلاقات الإيرانية بدول الجوار والمحيط - العربى والإسلامى - وفى العلاقات الإيرانية - الدولية ، لاتزال متنامية حتى الآن ..

والدكتور خاتمى ، لقبه المفضل والأشهر «سيد» محمد خاتمى ، لأنه - وفق التقاليد الشيعية - من «السادة» ، أى آل بيت رسول الله ، ﷺ .. ولد سنة ١٩٤٣م بمدينة «أردكان» ، فى أسرة متدينة ، لوالد هو آية الله روح الله خاتمى .. وجمع فى دراسته بين أصول الفقه والفلسفة والتربية .. وشملت اهتماماته علوم الحديث وفلسفة هيجل وماركس .. وإلى جانب الفارسية ألم باللغات العربية والانجليزية والألمانية .. ولأنه قد جمع بين الثقافة الدينية والثقافة المدنية ، عندما تعلم فى «الحوزة» العلمية بمدينة «قم» الإيرانية ، ودرس فى جامعة طهران ، وتخرج منها .. فلقد تميزت رؤيته الفكرية بالأصولية الدينية المستنيرة ، ورؤية الحضارة الحديثة ، بتياراتها الفلسفية والاجتماعية والثقافية المتعددة . فهو يرى العالم من موقع العالم الدينى ، ويرى التراث الدينى من موقع المثقف المتفتح على ثقافات العالم ، وبذلك تميزت وتتميز رؤيته الفكرية

عن أولئك الذين أصابهم «العور الفكرى» . فلا ينظرون إلا بعين واحدة : عين «الموروث» وحدها . . أو عين «الوافد» دون سواها! . .

لذلك كان الرجل نموذجا «للإسلامى» الذى لايخاصم العالم ، و«للعالمية» المنظور إليها من خلال حضارة الإسلام .



أما الدراسات الثلاث التى نقدمها ـ للدكتور خاتمى ـ فى هذا الكتاب ، فهى ـ فى الأصل ـ ثلاث محاضرات ألقاها فى «لبنان» ـ قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية الإيرانية .

أولاهــا: عن (الدين والعصر) .

والثانية: عن (التراث والحداثة والتنمية) ـ ألقاهما فى شهر ديسمبر سنة ١٩٩٦م .

والثالثة: عن (التنمية والحرية) ـ ألقاها فى صيف سنة ١٩٩٥م .

ولقد اخترنا هذه المحاضرات الثلاث من بين عدد أكبر من محاضرات الدكتور خاتمى[١] ـ لأن موضوعاتها من أكثر الموضوعات حساسية وإثارة للجدل بين تيارات الفكر فى وطن العروبة وعالم الإسلام . . ولأن هذه المحاضرات هى من بين ما ألقاه الدكتور خاتمى خارج إيران ، ففيها كان خطابه لجمهور مفكرى الأمة ومثقفيها، وليس ـ كمحاضرات له أخرى ـ ألقيت فى إيران فجاءت محكومة بالموروث الشيعى وحده ـ أو أكثر من غيره ـ وموجهة إلى

(١) ولقد سبق ونشرت هذه المحاضرات ، ضمن كتاب عنوانه [مطالعات فى الدين والإسلام والعصر] ، قدم له السيد محمد على أبطحى . وطبعته دار الجديد سنة ١٩٩٨م .

جمهور الشيعة دون غيرهم، أو قبل غيرهم من المفكرين والمثقفين فى عالم الإسلام..

لذلك، سيجد القارىء لهذه الدراسات نفسه أمام عالم إسلامى، لايحبسه مذهب، ويخاطب الأمة، لا شعبا بعينه، ولا دولة قطرية بذاتها.. كما سيجد القارىء نفسه بإزاء مصلح إسلامى، ملتزم بأصول الإسلام، وبمنظاره يرى العالم بأسره، كما يرى الإسلام فى ضوء القضايا والتحديات العالمية التى تواجه الإسلام والمسلمين.

❖ ❖ ❖

ورغم أن أهمية الأفكار والقضايا التى تناولها الدكتور خاتمى فى هذه الدراسات . . والوضوح الذى امتاز به عرضه لهذه القضايا ، يغرينا بأن ندع القارىء وجها لوجه مع هذه الدراسات ، ودون مقدمات . . إلا أن قليلا من الأضواء على الموقع الفكرى للدكتور خاتمى ، وعلى القضايا التى تناولها فى هذه الدراسات قد يكون ضروريا فى التعريف ، وفتح الأبواب لجمهور القراء . .

● فالدكتور خاتمى يضع نفسه ـ كما يضعه فكره ـ فى «المدرسة الإصلاحية الإسلامية» . . لكنه يتميز بين رجالات الإصلاح الإسلامى بالانتماء إلى «المذهب العرفانى»، الذى يعتمد فى تحصيل الحقيقة الدينية ـ وليس فى دراسة الكون والاجتماع والسياسات ـ على «القلب»، القادر على «الوصول» إلى المطلق واليقين . . ولكن دون نبذ «للعقل»، الذى هو سبيل الوصول إلى أصل الوجود الغيبى ، وبه تتيسر الحياة . . فعنده «أن السبيل المطمئن لمعرفة الله عز وجل، هو طريق الوصول لا الفهم، وطريق

القلب لا العقل. هو الطريق الذى أكدته الأديان بقوة. ولقد علّمنا أئمة الإسلام بأن «العقل ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان». وهذا يعنى أن العقل هنا هو مصدر عبادة لا مصدر فهم. وفي قول آخر، رأوا العبادة سبيلاً إلى اليقين، وليس الانتقال من المقدمات المعلومة إلى النتيجة المجهولة، ودليل هذا ما جاء فى القرآن الكريم: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[1] وهذا يعنى أن الطريق المطلوب للمعرفة الدينية الإلهية هو طريق الوصول لا الفهم.

وهذا، بطبيعة الحال، لا يعنى، بأى وجه، التنكر لقوة العقل والمعرفة الفلسفية والعملية، وخاصة في الإسلام، الذى اهتم إلى حد بعيد، بالعقل وبالتدبر، ولكن لابد من معرفة حدود كل بُعد من أبعاد روح الإنسان، ومن أراد أن يكون مؤمناً صادقاً فلابد له من سلوك طريق القلب[2]... إن العقل هو المشترك بين الناس. وهو لا يستطيع إيصالنا إلى الحقيقة المطلقة.. ونحن لا نستطيع بلوغ الكنه المطلق بالعقل، وقد ذكر العارفون أن ما يُفهم من العقل كمصطلح يقوم بهذا الفهم فى المطلق، هو القلب، لا العقل.

وهنا نعرض مسألة دقيقة لابد من جلائها. فنحن إما أن نُبقى على سلطان العقل من البداية، وإما أن نضعه ونضع الإيمان في مقابله، فيأخذ هذا الإيمان الموضوع مقابل العقل فى توجيه الإنسان أولاً فأولاً نحو الإيمان الكلى، ومن هنا يكون السلطان للقلب، كما عرفه العارفون،

(١) الحجر : ٩٩ .
(٢) العبارة القادمة من حوار مع د. خاتمى، أجرته وأذاعته محطة «تلفاز المنار» اللبنانية - فى ديسمبر سنة ١٩٩٦م .

ويكون له وحده أن يقودنا إلى عالم ما وراء الطبيعة، بأن الوجود أكبر من المادة وأعم، وأن ثمة غيبا في مقابل الشهود، وهي الأبواب التي يدخل منها القلب.

وإذا قبلنا بالعقل والقلب فإننا نستطيع بلوغ الإيمان، ولكننا إذا نبذنا العقل فلن نلبث أن نُخرج الدين من ساحتنا بعد مدة قصيرة، لأن العقل آلة لا تتيسر الحياة من دونها. فنحن بالعقل نصل إلى أصل الوجود الغيبي، وبه نُرسّخ الفهم عن الوصي[1]. ومن ثم تكفينا الرياضة، ومجاهدة النفس للمضي قُدماً نحو الحقيقة. بيد أننا عندما نريد فهم الكون والوحي فإننا نتوسل بالعقل وسيلة، ولكن مع ملاحظة أن استنتاجاته نسبية، الأمر الذي يحفظنا من الظن مثلاً أن ما نفهمه من القرآن والسنة هو عين الحقيقة.

إن بوسعنا، في أزمنة متعددة وفي أمكنة مختلفة، أن نصل بالعقل إلى أكثر من فهم للنص، وهو أمر يتفق وجوهر الدين الذي يؤكد أن فكرنا الديني متطور ومتغير دائما....

وغني عن البيان، أن هذا الطريق - طريق الوصول لا الفهم - والذي سلكه ويسلكه أصحاب «المذهب العرفاني»، هو طريق حق وصعب في ذات الوقت، لا ينكره عاقل، لكنه ليس الطريق العام الميسور الذي يستوعب الأمة.. فالعقل الذي «تترطب» معارفه بالقلب، والقلب الذي تُضبط بواطنه وإلهاماته وهباته بالعقل، هو طريق الشريعة والجمهور.. صحيح أن هناك من يصل إلى سقف

(١) الوصي - في عقائد الشيعة، التي يختصون بها، ويخالفهم فيها كل مذاهب أهل السنة - هو الإمام المعصوم.

الحقيقة المقدورة للإنسان بالعقل وحده.. ومن يصل إلى هذا السقف بالقلب وحده.. لكن هؤلاء وهؤلاء من الندرة بحيث يشير إليهم الزمان بأصابع الأجيال! - كما كان يقول الإمام محمد عبده، عليه رحمة الله.

● والدين - الذى خصصه الدكتور خاتمى فى هذه الدراسات بمحاضرة كاملة - هو: المقدس، المتسامى، المتعالى.. وهو الفطرة التى فطر الله الناس عليها، والتى بدونها لا معنى لحياة الإنسان.. «فالدين توأم الإنسان، وأقدم الموجودات البشرية، وحياة الإنسان من غير دين ومن دون التسليم لأمر متعال وسام لا معنى لها.. فجوهر الدين مقدس متعال، ولو جُرد الدين من القداسة والسمو لخرج عن كونه دينا...».

● ولأن «الدين» وضع إلهى ثابت، ومقدس، ومتسام، ومتعال.. تميز - فى الرؤية الإسلامية - عن «الفكر الدينى»، الذى هو اجتهادات بشرية - ظنية - والذى يمثل رؤية العلماء والمفكرين للوحى وللكون، ولعلاقة الأحكام بالواقع الذى يعيش فيه هؤلاء المفكرون والعلماء. «فالتمييز بين الدين وبين الفكر الدينى، ضرورة لتمييز «الإلهى» عن «البشرى»، والمقدس عن ما لا عصمة له، كما هو شرط للتطور الذى يواكب المستجدات والمتغيرات. ومن هنا تتلخص خدمة الدين، فى عصرنا، فى التمييز، بشجاعة، بين جوهر الدين كشأن مقدس ومتسام، وبين تصورات الإنسان عنه، والتى هى أمر محدود ونسبى ويدركها التغيير. وبذا تظل للدين منزلته المقدسة فى أعماق أفئدة المؤمنين، وتفتح، من جهة أخرى، آفاق التحول الإيجابى فى الفكر الدينى... وإذا حلت التقاليد وحل فهم الإنسان

المحدود محل الموضوعات المقدسة والمتسامية، ففي هذه الحالة سيعد أى نوع من الاعتراض على هذا الفهم والعرف بدعة وخروجا على الدين، وعندها تُمسى محاربة المبتدع أمرا مقدسا وساميا...

● وتراث الأمة هو معين الهوية التاريخية والاجتماعية للحضارة والأمة ، وهو سبب تميز ثقافة الأمة عن ثقافات الأمم الأخرى . .

لكن هذا التراث يجب أن لا يكون عقبة أمام التغيير والتقدم والتجديد ، وإنما يجب أن يستند إليه ويرتكز عليه أى تغيير . . فلا يجب تحويل التراث إلى عقبة أمام التغيير . . ولا يصح أن يتم التغيير بمعزل عن التراث . . ذلك أنه «هو معين الهوية التاريخية والاجتماعية للأمم، وخاصة الأمة التي لها حضارة متميزة وثقافة غنية. فالتراث تجل لثقافة المجتمع، ولا مجتمع من دون ثقافة... والقضاء على التراث يعنى مصادرة أساس الهوية التاريخية والثقافية للأمة والقضاء عليها.

وإذا ما قُدر لأمة أن تتغير، فإنه ينبغي لها في البدء أن تستشعر وجودها وشخصيتها من خلال ارتكازها إلى هويتها التاريخية، لكي تتمكن من الانطلاق منها... ألم يستيقظ الغرب بفضل عودته إلى التراث، إذ عاد المفكرون إلى التراث اليوناني، الفكرى والفني، وإلى تراث روما الاجتماعي، عصر النهضة، كما عاد المتدينون إلى ما كانوا يعتبرونه حقيقة دين المسيح الحقيقي، عصر الإصلاح، وكانت هذه العودة ذاتها مصدر إلهام لعصر البناء والإعمار.. فلا مفر من الاتكاء على التراث حتى في الصراع معه.. والنهج السليم هو أن تكون لنا مساهمة واعية حذرة في عملية التغيير والتحول، وفي إعادة صياغة التراث باعتباره موضوعا بشريا.. والحذر من اعتبار التراث أمرا مقدسا لا يحتمل التغيير...

● أن «الحداثة» التي تتطلب قطعاً ثقافياً [illegible] حدث [illegible]
منذ أكثر من قرن من الزمان [illegible] فى [illegible] الحداثة الغربية
[illegible] والمعاصرة التي [illegible] عن الثقافة الإسلامية [illegible]
ثقافة أوروبا فى العصور الوسطى الأوروبية [illegible]
[illegible] التي [illegible] حول [illegible]

فالحداثة [illegible] التحولات التي جرت فى الغرب فى العصر الأخير من تاريخ الإنسان، والتي يمكن تحول العصر [illegible] الحداثة روح حضارة جديدة، وثقافة المستحدثة منها. فكل حضارة ثقافتها التي تستمد منها [illegible] والاختلاف والتمايز بين الثقافات [illegible] التي تتمحور حول [illegible] وبين الثقافة الحداثية الغربية المستمدة مع الحضارة الغربية، التي تتمحور حول الإنسان، هو اختلاف جوهري فى جنس الحضارات

لقد كانت ثقافتنا العربية الإسلامية والثقافة الغربية للقرون الوسطى على [illegible] نوعي [illegible] وإن تفرق بينهما [illegible] وكان هناك وجود شبه [illegible] هو محورية الله فى فكر الإنسان وعقائده وفى نظامه الفكري والأخلاقي والاجتماعي. وقد جرت للغرب ثقافته [illegible] وكان من نتيجة حربه عليها ظهور حضارته الحديثة وثقافته الحديثة، التي [illegible] الإنسان [illegible] لمحورية [illegible] فكان ذلك [illegible] من محورية الله إلى محورية الإنسان، سر وجود الاختلاف بين ثقافتنا [illegible] التقليدية وبين ثقافة الغرب وحضارته الحديثة

● والتنمية ـ كما جاءت من الغرب .. وكما يطرحها ويتصور
[illegible]

واجتماعية واقتصادية وسياسية عربية [illegible] هذه الشخصية [illegible]

الدكتور حلمي [illegible] هي نموذج عربي متميز . لأنها [illegible]

العربية [illegible] حداثته [illegible]

[illegible] النموذج هذه الشخصية هي خصوصية عربية [illegible]

[illegible] أو العملي الذي يجب أن تسلكه [illegible]

[illegible]

مع [illegible]

الحضارات . .

إن المجتمعات [illegible]

[illegible] في عصر [illegible]

[illegible] العربي [illegible]

[illegible] شمولية الحضارة العربية [illegible]

تحقيق النهضة المرجوة و [illegible] بالبشرية إلى بر الأمان

[illegible] في هذا العصر هي [illegible]

[illegible] المفهوم

ـ ماذا عسانا أن نفعل في عصر التقنية؟

لا نستطيع، بل لا ينبغي لنا أن نعود القهقرى ٤٠٠ سنة إلى الوراء [illegible] إلى نقطة البداية التي انطلق منها العرب حتى وصلوا إلى حيث هو، ويجب علينا، إذا ما كنا أهل تدبر وعقل، أن نشق طريقنا إلى المستقبل، بملاحظة الحضارة الغربية، فنأخذ النافع منها بشروطنا ومواصفاتنا، كي نتوفر على اختيار الأفضل ونوعيته [illegible] شرط في [illegible] الأساسي هو تجاوز الحضارة الغربية.

● أما الحرية التي يتحدث عنها [illegible] الكافة [illegible] ويختلف حولها الأكثرون [illegible] التي فكر به كثير حتى [illegible] الحرية [illegible] مسئولة عن ثوابت الأمة [illegible] الحرية [illegible] هذه الثوابت وهي [illegible] مشوبة [illegible] حرة [illegible] وفق الأمة الذي [illegible] وتحديده [illegible] المسئولة التي تتوقف عندها [illegible] على الثوابت بها ليست مجرد كلمة [illegible]

ـ فما نعنيه بالحرية بشكل دقيق هو حرية الفكر، [illegible] الأمن في بدايته، [illegible] الحرية [illegible] هذا الأمن [illegible] التغيير والتقدم بمعنى أن [illegible] الفكر، والفكر لا ينمو إلا في إطار الحرية وعلى أرضيتها.

إن التجربة [illegible] الحرية [illegible] ومصلحته [illegible] في [illegible] لا [illegible] فلا نشكو [illegible] ستطرح حل مشاكلنا من قبل الآخرين.

أن يبين المطلوب وما هو ما سيكون تحت مظلته المجتمع وأن يقبل مفكروه والمسؤولون الذين يتشددون الحسم في إدارة الأمور فيه، أي ميثاق يتوافقون فيه على الآتي:

أولاً: علينا أن نكف عن البحث في العالم المعاصر عن مثال وحيد للحرية يتحول إلى نموذج نقدي يصلح للتعميم على الأمم جميعها.

ومع أن جوهر الحرية واحد، لكن ما أكثر الأمم والشعوب التي تستطيع أن تجرب وجوهاً مختلفة للحرية تحفظ ثوابت الأوضاع التاريخية، الاجتماعية حتى يكون لها تجارب مختلفة في فتح طريق الحرية وتحديد ثوابت مراحلها.

ثانياً: علينا أن نعرف الحق [illegible] نستطيع فيه أن نتحمل بعضنا بعضاً بسهولة. كما علينا أن نجتهد كي نصل إلى تعريف للحرية يرضي الجميع وأن نتوافق على حد أدنى وعلى الأولويات شرط أن يكون ذلك قانونيا ....

● وقد كان المفكرون حتى [illegible] الإسلامية، [illegible] يرى الإسلام على حاجة العصر، لا متأخراً عن العصر [illegible] هذا العصر. [illegible] الإسلام [illegible] المفكر الإسلامي المعاصر [illegible] الحرية، [illegible] ويبقى [illegible] المفكر العربي، [illegible] أخرى من [illegible] المفكر العربي [illegible] هو حال [illegible] الإسلامي [illegible]

الحق عقوبة، وليس فقط محملا لأعبائه. كان لابد للدكتور حنفي من أن يعرض موقفه من الغرب، ورؤيته المتعلقة به

وهو إذ [illegible] يؤكد على أن الغرب ظاهرة مركبة، يجب أن نتعرف عليها، لا نقف عند كلية، وأيضا لا نرفضها كلية، وإنما نتناول سماتها، والسلبية منها والإيجابية [illegible] فمن الناحية التاريخية شهد العالم غير الغربي لديها ظاهرة تسلط الغرب السياسي والاقتصادي، سواء في صورته الاستعمارية القديمة التي نهبت خيرات الآخرين المادية والمعنوية وتدمير البيئة والسيطرة على الإعلام، بالكذب والسخرية، والآن من خلال ترويج الكثير من القيم اللاإنسانية ومثل المعنوية والأخلاقية من قيم جديدة [illegible] لدى [illegible] [illegible] التي تركته وسيطرت عليه

بيد أن الغرب السياسي، الاقتصادي ليس إلا وجها من وجوه الغرب، فالغرب بجملته هو حضارة ذات ثقافة خاصة، وهذه الحضارة وهذه الثقافة قامت على مبادئ فكرية وقيم خاصة، ومن دون التعرف عليها والإحاطة بها تظل معرفتنا بالغرب معرفة سطحية وظاهرية ومضللة

ويستدعي علينا منه وثقافته بدرء أخطار الغرب من جهة والاستفادة من خبراته وممكناته الإنسانية من جهة أخرى، وكل هذا ممكن إذا ما صحت فكرية وتربيتنا، فعلى ذلك [illegible] قدرته على التشخيص والانتقاء [illegible] الموضوعية [illegible] واختيار..

● وبعد، اهتم الدكتور حنفي بالحديث عن المواقف الفكرية - التي تبلورت في حياتنا الفكرية إزاء الغرب..

فأمام الحضارة الغربية ، وثقافتها الحداثية الوافدة إلى بلادنا ، في ركاب الغزوة الاستعمارية ، تبلورت في بلادنا الإسلامية تيارات فكرية ثلاث :

١ . التقليديون . المتشبثون بالتراث : . وهم الذين أصروا دائما على التمسك بالتراث بكل أبعاده ووجوهه، أو لنقل، بتعبير آخر، أصروا على تقليدهم وتصورهم الذهني وسلوكهم الذي اعتادوه، وكان بالنسبة لهم أمرا مقدسا في مقابل التجديد أو الحداثة، واعتقدوا أن بالإمكان العيش في إطار التقليد الضيق الموروث عمن سلفهم بإيصاد الأبواب في وجه أمواج الحضارة الغربية وثقافتها المندفعة...

٢ . والمتغربون . المقلدون للنموذج الغربي : . وهم الذين خيل إليهم أن الأزمة قابلة للحل من خلال قبول الحضارة الغربية بجميع أبعادها ومتطلباتها ومستلزماتها، بما في ذلك ثقافة الحداثة.. وهؤلاء ، بتحقيرهم للتراث واستهزائهم به، بدلا من تحليله ونقده . تجاهلوا نفوذه الراسخ، ولم يتمكنوا، في أي وقت، من الحصول على مواطئ قدم في مجتمع يعي التراث ويأنس به.. فمكثوا في عزلة موجعة، ولذلك تعلقوا . بدافع المحافظة على بقائهم . بأذيال الحكومات المستبدة، أو أمسوا، عمليا وعن وعي في الكثير من المواقف، منفذين لتطلعات الغرب الاستعمارية في بلدانهم...

٣ . والإصلاحيون : الذين يتعاملون مع التراث ومع الغرب الحضاري بمنهاج نقدي . . جعلهم يجمعون ، بالتجديد - المستصحب للثوابت ، والمجدد في المتغيرات - كلا من ميزات التقليديين وميزات الحداثيين ، دون سلبياتهما . . فهذا التيار الإصلاحي ينطلق من مبدأين :

«الأول هو «العودة إلى الذات» وإحياء الهوية الثقافية «التاريخية لأمتهم وشعبهم».

أما الثاني: فيقول بـ«التعامل الإيجابى مع معطيات التمدن البشرى، وفى الوقت ذاته اتخاذ الحيطة والحذر فى مقابل نزعة الغرب التوسعية وتوجهه الاستعمارى».

ولقد حدد الدكتور خاتمى للإصلاح - الذى يعد نفسه واحدا من تياره - شروطا .. فالإصلاح عنده ليس مجرد فكر .. وإنما هو فكر تضعه «السياسة» فى الممارسة والتطبيق .. «فالإصلاح لا يتحقق إلا إذا تبعت السياسة والنشاط السياسى الفكر والحكمة، ولم يُبقيا نطاقا مفروضا على الأفكار»..

والفكر، الذى هو شرط الإصلاح، لابد أن يكون فكرا مبدعا وإبداعيا، لا مجرد تكرار للإبداعات التى تجاوزها الواقع ونسخها التطور، وطوى العصر الجديد صفحتها .. بل إن الإبداع - عند خاتمى - هو شرط صمود الهوية فى المواجهات الحادة أمام التحديات الشرسة التى تواجهها حضارتنا وثقافتنا .. فالإبداع هو سبيل بلورة البدائل الإسلامية، التى تملأ بها فضاءنا الثقافى، حماية له من أن يملأه «الوافد» الضار! .. «فالمجتمع الذى يفتقر إلى الفكر المبدع يفقد هويته فى أول مواجهة مع أية مشكلة»..!

❖ ❖ ❖

● وأخيرا .. ينطلق الدكتور محمد خاتمى من هذه المعالم الفكرية، التى قدمها حول (الدين .. والتراث .. والحداثة .. والتنمية .. والحرية) إلى نظرة مستقبلية، تبشر بحضارة إسلامية

جديدة ، أو ـ بمعنى أدق ـ مستقبل جديد ، تتجدد فيه حضارة الإسلام وثقافتها الإسلامية . . فيقول :

«علينا، في سبيل تحديد معالم عصرنا الراهن، أن نتطلع إلى المستقبل، ولكي نتمكن من تصور مستقبلنا تصورا سليما ومقبولا، فلن يكون أمامنا خيار سوى أن نعي ماضينا ولا نألفه ونأنس به.. وأن نتسلح بنقد الحداثة والتراث معا، وأن نكون أصحاب رؤية جديدة في حياة الإنسان، في وقت نرتكز فيه إلى ماضينا الذي أنتج حضارتنا، وأن نستفيد ـ ونحن نتجاوز الغرب ـ من معطيات الحضارة الحديثة الباهرة، لا سيما وأننا نمتلك في التاريخ سابقة حضارية تركت بصماتها على مصير العالم والإنسان...».

فنحن «نتجاوز الغرب» ، دون أن نغلق دونه فنرفضه جميعه . . و«نرتكز إلى ماضينا» ، دون أن نهاجر إليه . . وإنما لنقفز إلى مستقبل جديد ، تتجدد فيه حضارة الإسلام وثقافتها الإسلامية . .

❖ ❖ ❖

تلك إشارات إلى أهم القضايا المحورية التي تناولتها الدراسات الثلاث التي كتبها الدكتور محمد خاتمي ، والتي نقدمها إلى القراء . . أما الآفاق . . والتفاصيل . . ولبنات هذه الرؤية ـ الإسلامية ، الموضوعية والمشرقة ، فإننا نترك القراء وإياها في صفحات هذا الكتاب .

والله نسأل أن ينفع به . . إنه أفضل مسئول ، وأكرم مجيب .

دكتور / محمد عمارة

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د . محمد عمارة
- المستشار طارق البشري
- د . حسن الشافعي
- د . محمد سليم العوا
- أ . فهمي هويدي
- د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقي
- د . كمال الدين إمام
- د . عبد الوهاب المسيري
- د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين
- د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر

